رأس الوفد الاسرائيلي الى مؤتمر السلام في مدريد تساؤلات عدة في أوساط المعلّقين والصحفيين في اسرائيل. فالمعلّق الصحفي حامي شاليف رأى انه على شامير ان يشارك في المؤتمر «لأن الامر يعزّز التزامه بالعملية السياسية، هذا اذا كان موجوداً في الاصل» (**دافار**، ٢٢/١٠/١٩٩١). كذلك، فان مشاركته في المؤتمر، بحسب شاليف، تحتم عليه ان يتحمّل مسؤولية الاستمرار في عملية السلام أو الانسحاب منها (**المصدر نفسه**).

لكن المعلّق الصحفي عكيفا ايلدار لاحظ ان شامير توجّه الى مدريد على رأس وفد من أقصى اليمين، ممّا يدل على ان أقوال الوزير رحبعام زئيفي في جلسة الحكومة لم تقع على آذان صماء. فالوزير زئيفي هو الذي دعا شامير الى ان يترأس الوفد («وليس وزراء انهزاميين»)، وهو الذي اقترح عليه ان يضمّ الى الوفد احد المستوطنين (**هآرتس**، ٢٤/١٠/١٩٩١).

وقال معلّق صحفي آخر هو دانيئيل بلوخ: «ان أحداً، ربما باستثناء شولاميت شامير، لا يعلم بما هو موقف شامير الحقيقي. هل جرّ الى المؤتمر ويفتش عن فرصة لنسفه، أو انه يدرك عظم الفرصة، ويناور بين الاتجاهات المختلفة داخل الليكود والائتلاف، لتفادي سقوط حكومته قبل ان ينجز تقدّماً فعلياً في المفاوضات الثنائية؟» (**دافار**، ٣٠/١٠/١٩٩١).

اذا حكمنا، وفقاً لخطاب شامير، فالمؤتمر، في نظره، مجرّد «مؤتمر احتفالي» وتمهيدي للمفاوضات الثنائية (**المصدر نفسه**، ١/١١/١٩٩١). الى ذلك، واستناداً الى أقوال بعض المقرّبين من رئيس الحكومة، «فالمؤتمر، على وجه العموم، كان بمثابة ثقب في عجلات سيارة شامير. فقد كان واثقاً، حسب قولهم، من ان سوريا سوف تنسف المؤتمر من خلال رفض المشاركة فيه. لكن [الرئيس] الاسد خيّب أمله ببساطة، لأنه ليس ذلك الشخص الذي يمكن الاعتماد عليه» (يوئيل ماركوس، **هآرتس**، ٢٢/١٠/١٩٩١).

في خطابه، تجاهل شامير الأسس التي قام عليها المؤتمر، وتحديداً قراري مجلس الامن ٢٤٢ و٣٣٨. والرسالة الأساسية التي أراد تبليغها كانت، باختصار شديد، زعمه ان جوهر الصراع ليس المناطق المحتلة، بل العداء العربي وعدم الاعتراف بوجود اسرائيل: «اننا ندرك ان محاورينا سيطالبون بالأراضي. لكن التاريخ أوضح ان جوهر الصراع ليس الأراضي. فالعداء بدأ قبل ان تصبح مناطق 'يهودا والسامرة' [الضفة الفلسطينية المحتلة] وغزة والجولان في أيدينا جرّاء حرب دفاعية. لم يكن هناك اعتراف باسرائيل قبل العام ١٩٦٧، عندما لم تكن تلك المناطق في أيدي اسرائيل وتحت سيطرتها... وسوف يكون من المؤسف ان تتركّز المفاوضات على المناطق فقط، فهذه هي الطريق الأقصر الى الطريق المسدود» (**دافار**، ١/١١/١٩٩١).

الى ذلك، اعتبر شامير «ان المحادثات متعددة الطرف التي سترافق المحادثات الثنائية تشكّل عاملاً حيوياً في عملية السلام. فتلك المحادثات هي مظهر حيوي في المسار برمّته، حيث سيتمّ فيها البحث في كل المواضيع الاقليمية، وليس هناك امكان لتحقيق السلام الّا اذا وجدت حلول لكل تلك القضايا» (**المصدر نفسه**). أمّا المحادثات الثنائية، فرأى شامير ان «دورها يقتصر على التوصّل الى التوقيع على معاهدات سلام بين اسرائيل وجيرانها، وعلى اتفاق مرحلي بين اسرائيل والعرب الفلسطينيين. وهذا لا يمكن تحقيقه دون رغبة صادقة» (**المصدر نفسه**).

وحدّد شامير الأساس الذي تقوم عليه عملية السلام، فقال: «اللقاء اليوم هو نتاج لجهد اميركي متواصل، استناداً الى مشروعنا للسلام في العام ١٩٨٩، الذي يرتكز على اتفاقيتي كامب ديفيد. ووفقاً للمبادرة الاميركية، فهدف اللقاء هو بدء مفاوضات مباشرة بين اسرائيل وكل واحدة من جاراتها، وكذلك مفاوضات متعدّدة الطرف بين كل دول المنطقة. وقد آمنّا دائماً بأن المحادثات المباشرة والثنائية فقط بامكانها جلب السلام. ووافقنا على ان نستبق تلك المحادثات بعقد هذا المؤتمر الاحتفالي: لكننا نتوقع ونأمل ان موافقة العرب على المحادثات المباشرة الثنائية، تدل على ادراكهم ان لا طريق غير هذه الطريق الى السلام. ويوجد لذلك دلالة خاصة، لأن المحادثات الثنائية معناها القبول المتبادل، والمشكلة كانت انعدام الاعتراف من جانب